

## المبحث الأول

### النشأة الأولى للبلاغة عند النحاة المتقدمين

#### ١ - بداية الإشارات البلاغية عند النحاة واللغويين الأوائل :

إن المتتبع لمباحث البلاغة العربية يجد بعضاً منها يرجع إلى مباحث النحو العربي في نشأته المبكرة ، قبل أن يجنح إلى الجدال والتقسيم والتفريع الشكلي ، وقد لا يجد الباحث حرجاً في أن يزعم أن كثيراً من الدرس البلاغي نشأ في رحم النحو ثم انفصل عنه وانماز بسمات خاصة في درس البيان جعلت منه علماً قائماً بذاته ، ومع ذلك بقي في مباحثه ذلك الأصل النحوي شاهداً على ما نقول .

ولم يكن قصد الخليل وسيبويه الاقتصار على مسائل النحو والضبط الإعرابي كما آل إليه النحو من بعد ، بل كانت أعمالهما أقرب إلى الدرس اللغوي الذي يشمل مستويات التحليل اللغوي المتعددة من الأصوات والكلمات والجمل والدلالة .. ولهذا فإن دارس سيبويه سيجد مبادئ لدراسات في علم الدلالة والبلاغة والشعر بلغته الخاصة وضروراته.. تتعاقب كلها مع الدرس النحوي التأصيلي الذي ابتدأه سيبويه.

انشغل النحاة بضبط القواعد والتصورات الكلية للغة ، ومن بين سطور الدراسات النحوية الكثيرة ظهرت رويداً رويداً لفتات جمالية أخذت تتناثر هنا وهناك في بطون الكتب ، حتى كوّنت فيما بعد أصول علوم البلاغة العربية ، ومن النحو والبلاغة معاً ينشأ ما يمكن الاصطلاح عليه باسم " علم الجمال النحوي " أو " النحو الجمالي " أو " الإبداع النحوي " .

ومن المعلوم أن النحو كان أسبق نشأة من البلاغة ، وأن الإشارات البلاغية المبكرة كان بعضها يرد عند متقدمي النحاة تارة وعند نقاد الشعر والأدب تارة أخرى ، حتى وُضعت أسس العلوم العربية وانماز بعضها من بعض بأصول وقواعد وحدود ، ولا أدل على ذلك من أن رائدي علم البلاغة عند العرب بلا منازع هما عبد القاهر الجرجاني والزمخشري ، وقد كانا الرائدان في تأصيل اتخاذ المهاد النحوي مدخلاً للدرس البلاغي فمزجا في أعمالهما بين مباحث النحو والبلاغة في دراسة البيان العربي ، وقد رأى عبد القاهر أن " الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب

هو الذي يفتحها وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورُجحانه حتى يُعرض عليه ، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه " <sup>٢</sup> .

إن نشأة البلاغة في كنف النحو جعلتها تحتفظ بوشائج الصلة معه في مباحث عديدة حتى بعد أن أصبحت علماً مستقلاً ، ولا تزال مباحث متنوعة حول الأصوات والحروف والألفاظ والتراكيب مشتركة بينهما ، إن " بداية البلاغة والنقد على أيدي النحويين واللغويين والرواة كانت بداية سليمة لأنها اتخذت نقطة انطلاقها من أساس متين هو الصوت اللغوي أو الحرف وتدرجت منه إلى الكلمة ثم إلى نظام الجملة ، ولم تنظر إلى هذا النظام نظرة آلية مقررة ، بل نظرة ذاتية نفسية مرتبطة بالموقف والقائل والسامع .. ومن هنا كان النحاة واللغويون من واضعي أسس البلاغة العربية من حيث لا يتعمدون ذلك " <sup>٣</sup> .

وقد ارتبط مفهوم البلاغة عند العرب قبل التأصيل المصطلحي بالقدرة على الإبانة وإبلاغ المعنى في أحسن صورة ، قال ابن رشيق : " سئل ابن المقفع : ما البلاغة ؟ فقال : اسم لمعان تجري في وجوه عدة كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون ابتداءً ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل ، فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة ، قال صاحب الكتاب: فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة في الإيجاز " <sup>٤</sup> .

وقد ذكر القرآن الكريم " القول البليغ " بوصفه نزوة البيان الوعظي للتأثير في الناس فقال في معرض الحديث عن المنافقين ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَغْمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (النساء : ٦٣) .

<sup>٢</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٣٨، ط١ دار المعرفة - بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

<sup>٣</sup> - د/محمد حسن عبد الله : اللغة الفنية : ١٤-١٥ ، ط دار المعارف ، القاهرة د.ت .

<sup>٤</sup> - الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢٤٣/١ ، ط ٥ دار الجيل - بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

ولا شك أن نكات البلاغة بدأت تظهر أولاً في أعمال اللغويين الأوائل كما قال الدكتور شوقي ضيف عن معلمي اللغة الأوائل من اللغويين والنحويين إنهم : " لم يكونوا يكتفون بالرواية وحدها ؛ فقد عُنوا أشدَّ العناية بشرح ما يروون ودرسه وتبين خصائصه التعبيرية والأسلوبية ، وحقاً كانت عنايتهم تنصب على استنباط أصول اللغة العربية من الوجهتين الاشتقاقية والنحوية ، غير أنهم مع ذلك كانوا يُعنون بتلقيح الناشئة شيئاً من الخصائص البيانية ، يأتي ذلك عرضاً في ثنايا شرحهم وعرضهم للقواعد اللغوية والنحوية " <sup>٥</sup> .

\*\*\*

## ٢- سيبويه والإشارات البلاغية المبكرة :

حين نتصفح كتاب سيبويه نجدّه يهتم بالدلالة اهتماماً كبيراً فهو يذكر وجهاً إعرابياً في لفظ أو تركيب ثم يذكر وجهاً آخر مع تغير المعنى المراد من اللفظ أو التركيب ليوائم بذلك بين المقال والمقام أو سياق الكلام ، وهي القاعدة التي صارت من بعد أساسية في تعريفات البلاغة ، أعني موافقة المقال لمقتضى الحال أو المقام .

وقد تحدث سيبويه في مواضع كثيرة من كتابه عن أثر الموقف أو الحال الذي يحدث فيه الكلام على تركيب الجملة ، والتأثير على عناصرها من حيث الحذف أو الإضمار أو التعريف والتذكير .. ومن أبواب كتابه باب " ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل "فقوله" مستغن عن لفظك بالفعل" يفيد أن ثمة عناصر سياقية تغني السامع والمتكلم عن إظهار اللفظ الدال على الحدث ، وهذه العناصر السياقية تتمثل في حالة المشاهدة لوقوع حدث ما ، قال : " وذلك قولك : زيدا وعمراً ، ورأسه ، وذلك أنك رأيت رجلاً يضرب أو يشتم أو يقتل ، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تُلَفظ له بعمله فقلت : زيدا ، أي أوقع عملك بزید " <sup>٦</sup> .

٥ - د/ شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ : ٢٨ ، ط ٩ دار المعارف - القاهرة ١٩٩٥ م.  
٦ - سيبويه : كتاب سيبويه : ٢٥٣/١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٣ مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

وسباق الدعاء بما فيه من الحضور يجيز كذلك حذف الفعل ، كما في قولهم " اللهم ضبعاً وذبناً " وذلك إذا كان يدعو على غنم رجل ، وإذا سألتهم ماذا يعنون قالوا : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعاً وذبناً ، وكلهم يفسر ما ينوي ، وإنما سهل تفسيره عندهم لأن المضمرة قد استعمل في هذا الموضع عندهم بإظهار<sup>٧</sup> .

ويفسر السياق أيضاً حذف الفعل والاستغناء بالحال عنه في قولهم " مكةٌ وربُّ الكعبة " حيث يرى القائل رجلاً في هيئة الحاج قاصداً مكة ، فيستغني بتلك الرؤية عن لفظه بالفعل ، والتقدير : يريد مكة " ومثل ذلك أن يرى الرائي رجلاً يسددهما نحو القرطاس ، فيقول : القرطاس والله ، وإذا سمع وقع السهم في القرطاس قال : القرطاس والله ، أي أصاب القرطاس " <sup>٨</sup> .

فالسباق هنا يشير إلى الرؤية والسمع ، وهما من عناصر المقام ، ولذا يُستغني معهما عن ذكر الفعل لعلم المخاطب بذلك ، وهذا من ميل العربية إلى الإيجاز اعتماداً على القرائن السياقية ، وقد علل سيبويه الإضمار في هذا الموقع بقوله : " وإنما أضمرت الفعل ها هنا وأنت تخاطب لأن المخاطب المخبر لست تجعل له فعلاً آخر يعمل في المخبر عنه ، وأنت في الأمر للغائب قد جعلت له فعلاً آخر يعمل ، كأنك قلت : قل له ليضرب زيداً " <sup>٩</sup> .

هذا كله يشير بجلاء إلى فكرة المقال المناسب للمقال أو السياق ، وقد صارت من صلب مباحث البلاغة العربية فيما بعد .

واهتم سيبويه كذلك بمسائل صارت من بعده من صلب مباحث البلاغة وبخاصة في علم المعاني كالتهنئة والتأخير والتعريف والتكثير وبلاغة الاستفهام .. وسنرى بعض ذلك في درس المصطلحات .

\*\*\*

٧ - نفسه : ٢٥٥/١ .

٨ - نفسه : ٢٥٧/١ .

٩ - نفسه : ٢٥٨/١ .

إلى البحث عن جماليات الأسلوب أكثر من النحو ، لكنّ باستعمال بعض معطيات النحو نفسه ، ومن ثم جاء عمل عبد القاهر النظري المشفوع ببعض الشواهد في الدلائل وأسرار البلاغة ، وتطبيق الزمخشري العملي في الكشف ذروة ما في البلاغة العربية من بحث جمالي .

\*\*\*

## ٥ - تطور الدرس البلاغي وانتحاؤه طريقاً خاصاً :

إن نظر النحوي ينصب على دراسة التركيب اللغوي من جهة المعنى والإعراب واكتمال أركان الجملة ، أي من جهة أصل المعنى المراد من التركيب ، ونظر البلاغي يتجاوز ذلك إلى دراسة مقام الكلام والدلالات الإضافية الناتجة من تركيب الكلام على نحو ما ، بحيث لو حدث تغير في التركيب استتبع تغيراً في الدلالة الإضافية المستفادة من التركيب ، هذا مع اعتناء خاص بالسياق ومقام الكلام ومطابقة مقتضى الحال ، وهو ما جعل البلاغة تسلك سبيلاً خاصاً زايلت به النحو من بعض الوجوه " وطبيعي أن البلاغيين لم يتوقفوا عند ما بدأ به علماء اللغة ، لقد شاركهم البدء من الجزء والعناية بالكلمة والجملة ، ولكنهم تجاوزوهم إلى إبراز أهمية الذوق وصلته بالحواس والشعور " ١٨ .

وقد أحس دارسو اللغة والبلاغة معاً منذ نشأتها بتداخل الدراستين : اللغوية والبلاغية ، وصارت علوم الأصوات والصرف والنحو والدلالة مباحث أساسية - من منظور خاص - في البلاغة العربية .

والخطيب القزويني يجعل من بعض مباحث النحو مداراً للبلاغة ، يقول : " وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التذكير يبين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد ، ومقام التقديم يبين مقام التأخير ومقام الذكر يبين مقام الحذف " ١٩ .

١٨ - د/ محمد حسن عبد الله : اللغة الفنية : ١٧ .

١٩ - الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة : ١١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت د.ت .

فالبلاغة تستفيد من مباحث النحو من منظور خاص هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو بمعنى آخر تهتم البلاغة بالجانب التطبيقي والسياقي من جوانب اللغة .

وأشار محمد بن علي الجرجاني صاحب "الإشارات والتبهيّات في علم البلاغة" في بداية حديثه عن البلاغة إلى حصر صور التراكيب العربية وإلى موضوعات العلوم العربية التي هي مفردات موضوعها علم الصرف ، وتراكيب يتوجب معرفة صحتها ... وهو موضوع علم النحو ، وكيفية تطبيق أحوال التراكيب العارضة على أحوال المعاني وهو موضوع علم المعاني ، وباعتبار كون دلالتها على المعنى المراد وهو موضوع علم البيان ، وباعتبار نسبة بعضها إلى بعض لفظاً أو معنى بالتحسين والتقييح وهو موضوع علم البديع ...<sup>٢٠</sup>.

وقد أحس المحدثون من دارسي البلاغة بما أحس به الأقدمون من تداخل النحو واللغة مع البلاغة ، ونذكر على سبيل المثال منهم الدكتور مصطفى الصاوي الجويني ، فبعد أن ذكر أن نشأة البلاغة كانت في أحضان البحث اللغوي ابتداءً من أعمال الخليل وسيبويه، ثم نضوجها في حجر الكلاميين والأصوليين .. قال : " وإنّ البلاغة نلتبسها في مجالات اللغة والنحو والصرف والتفسير والكلام والأدب " <sup>٢١</sup> .

إن نظرة سريعة إلى مباحث علم المعاني ترينا كيف أن مباحثه أساسها النحو ، فهو يبحث في أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، والقصر والإنشاء والفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة.. أما علم البيان فمباحثه : التشبيه والحقيقة والمجاز بأنواعه والاستعارة والكناية... وهذه المباحث أكثر التصاقاً بعلوم الدلالة والمعجم ، ومباحث البديع ذات علاقة بتحسين الكلام وتزيينه ، أي أنها ترتبط عادة بالكلام ذي البلاغة العالية الذي يعدّ إعداداً ، ويُختار على بصيرة وروية اختياراً<sup>٢٢</sup>.

٢٠ - محمد بن علي الجرجاني : الإشارات والتبهيّات في علم البلاغة: ٢-٣، دار نهضة مصر د.ت.

٢١ - د/مصطفى الصاوي الجويني : بلاغة العرب في بيئات الإسلام : ٥-٦، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٥م.

٢٢ - انظر لصاحب هذه الدراسة كتاب : فواصل الآيات القرآنية - دراسة بلاغية دلالية : التمهيد (معالم الدراسة البلاغية) ط٢ مكتبة الآداب - القاهرة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

ويتمسّ ابن الأثير مواضع الالتقاء والافتراق بين النحوي والبلاغي فيدرك بعضاً ويخطئ في بعض إذ يتحامل على النحاة زاعماً أنهم قد لا يتوصلون إلى ما في الكلام من الفصاحة والبيان ، وهو زعم لا يتابع عليه ، والأصل أن النحوي ينظر في صحة التركيب اللغوي بما فيه صحة الإسناد وعلاقته .. وبعض النحاة - وبخاصة المتقدمون منهم - قد يتجاوز ذلك إلى دراسة سياق الكلام ومطابقته كما فعل سيبويه قال ابن الأثير : " وموضوع النحو هو الألفاظ والمعاني ، والنحوي يسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية .. وموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية ، وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعنى من جهة الوضع اللغوي وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب ، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يعلم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ؟ " ٢٣ .

والحقيقة أن ابن الأثير يتحدث عن فئة من النحاة انشغلت بالعوامل والمعايير النحوية وأحكام الإعراب دون نظر في السياق وجمال الأداء ومتطلبات البيان ، ولذا يقول الدكتور رجاء عيد معلقاً على نص ابن الأثير : " ما الذي دفع إلى الشقاق بين النحوي والبلاغي ؟ إن الصلة في أصلها حميمة ، وكلاهما - النحوي والبلاغي - يتعاملان مع الأداء اللغوي ، لقد حدث الشقاق - ويتحمل تبعته النحويون المتأخرون - حينما غفل النحويون عن دراسة الظواهر النحوية متصلة بالتركيب اللغوي وقصروا مهمتهم على البحث في ضبط أواخر الكلمات .. " ٢٤ .

وفي مقدمة تحقيق كتاب " الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة " يشير المحقق الدكتور عبد القادر حسين إلى علاقة الدرس البلاغي بالنحو واستعانة البلاغيين بأسس النحو في أعمالهم ، قال : " والجرجاني عالم من علماء النحو يستعين به على البلاغة

٢٣ - ابن الأثير : المثل السائر : ٢٦/١ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط المكتبة العصرية - لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٢٤ - د/رجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ١٧ ، منشأة المعارف - الإسكندرية د.ت .

في تقرير قواعدها .. ولذلك نراه يعرض لأحكام أئمة النحو التي لها علاقة بالأسرار البلاغية فيناقشهم مناقشة العارف البصير النافذ إلى الأغوار " ٢٥ .

ويبدو أن البلاغيين كانوا أكثر اهتماماً من النحويين ببيان كيفية أداء الصورة اللغوية للمعنى المراد ، ويمكن القول بأن النحويين قد تركوا للبلاغيين مجالاً خصباً كانوا هم أهله وأجدر به ، وذلكم هو مجال علم المعاني ، وهو مؤسس على علم النحو ، إلا أنه خطأ الخطوة التي أهتمها أكثر النحاة للوصول إلى دراسة شاملة لجوانب العملية الكلامية وهي خطوة دراسة المعنى على مستوى التركيب .

وقد وقع بعض البلاغيين المتأخرين في أسر التصور التقليدي لبناء الجملة عند النحاة ، حيث اعتمدوا أساساً على الميراث النحوي الغني ، ومن ذلك بحثهم لبناء الجملة ، وما فيها من تقديم أو تأخير أو مظاهر أخرى ، وقد انتقد بعض الدارسين هذا الاتجاه ، كما يقول الدكتور عبد القادر القط : " والحق أن الحرص على إفادة الكلام ومعناه قد جعل البلاغة العربية برغم التفاتها إلى كثير من مقومات البيان ، قائمة في جملتها على افتراض أن هناك " أصلاً " نحوياً ثابتاً لبناء الجملة العربية ، إذا تجاوز المتكلم أو الكاتب نسقه كان من وراء ذلك مراد خاص ولا يكاد يلتفت البلاغيون إلى أن العبارة يمكن أن يكون لها أكثر من نظام لا يمثل عدولاً عن النظام الأصلي المفترض بل ينبع من طبيعة الفكرة والشعور وإحساس المتكلم والشاعر والكاتب باللغة وألفاظها وإيقاعاً إحساساً يختلف من شخص إلى آخر ، فليس شرطاً - حين يتجاوز الأمر تعليم النحو - أن تقوم الجملة في الأصل على فعل ثم فاعل ثم مفعول به ، فإذا تقدم أحد هذه العناصر أو تأخر كان وراء ذلك بالضرورة فائدة بيانية " ٢٦ .

٢٥ - محمد بن علي الجرجاني : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : ص ( ح ) من المقدمة ، تحقيق : د/ عبد القادر حسين ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٨٢ م .

٢٦ - د/ عبد القادر القط : النقد العربي القديم والمنهجية ، مقال بمجلة فصول : ٢٣ - ٢٤ ، مج : ١ ، ع : ٣ ، ١٩٨١ م .



وحين تصفحت مُعجم المصطلحات البلاغية وتطورها<sup>٢٧</sup> - على سبيل المثال - وجدت كثيراً من المصطلحات البلاغية تضرب بجذورها في النحو العربي ، لكنها انمازت عنه إلى وجهة جديدة من الدرس تجاوزت النظر الظاهر إلى التركيب ومكوناته إلى ما هو وراء ذلك .

ومن المصطلحات البلاغية التي تضرب بجذورها في النحو العربي ذكر صاحب المعجم في الجزأين الأول والثاني بعضاً منها مثل : أداة التشبيه والاستئناف والاستثناء والاستدراك والاستفهام والإسناد الخبري والاستغفال والإضمار والالتفات والأمر وإيجاز الحذف والتأكيد وتتابع الإضافات والتجريد والترجي والتعبير عن المستقبل بالماضي والتعجب والتعريف والتكثير والتقديم والتأخير والتكرير والتمني وتوكيد الضمير والحذف وحروف المعاني والحصر ..

كل هذه المصطلحات وغيرها نبئت أولاً في أعمال النحاة الأوائل ثم اتخذت اتجاهها خاصاً على أيدي البلاغيين المبكرين من أمثال عبد القاهر حتى استوت علماً خاصاً قائماً بذاته ، لكن بقيت في أكثر مباحثه مظاهر متنوعة تدل على تلك النشأة الأولى للبلاغة في رحم النحو العربي .

ثمة نظران إذن للتركيب اللغوي أحدهما للنحوي والآخر للبلاغي ... وقد توجد ألوان أخرى من تناول التركيب اللغوي أو غيره من قبل دارسي النصوص لكننا نبحث هنا عن العلاقة بين النحو والبلاغة لننظر كيف التقيا معاً أول مرة فنبتت البلاغة في رحم النحو ثم كيف تمايزا حتى صارت للبلاغة علومها ورسومها ، وكيف ينظر كل من النحوي والبلاغي إلى المسألة المشتركة بينهما اصطلاحاً على الأقل ، بمعنى : كيف يعالج النحوي مصطلحاً كالحذف أو التعريف والتكثير وكيف يعالجه البلاغي على سبيل المثال .

وأنا أشير هنا إلى أن أكثر المباحث والمصطلحات البلاغية التي نرى لها أصولاً نحوية هي أقرب إلى مباحث علم المعاني من بين أفرع البلاغة الثلاثة ، ومع ذلك فإن مباحث علمي البيان والبدیع ليست بمنأى عن أصول النحو ، فأصل الاستعارة على

<sup>٢٧</sup> - للدكتور أحمد مطلوب ، ط المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

سبيل المثال قائم على تغير بدرجة ما في علاقات الإسناد في التركيب اللغوي ، فالمعهود في الخطاب في مثل قوله تعالى ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴾ (الكهف : ٧٧) إسناد فعل الإرادة إلى العاقل أو المميز الذي يتصور وقوع الإرادة منه ، ولكن تغير علاقات الإسناد بإسناد فعل الإرادة إلى الجماد حيث نشأت الاستعارة يحدث هزة في المتلقي عند تدبره للمعنى ، قال عبد الرحمن الميداني : " في هذا نقل صفة الإرادة التي هي للحي المريد وإضافتها على الجدار الذي لا حياة له ولا إرادة لأن صورة الجدار هذا تحدث في تخيل الناظر إليه أنه كعجوز من الناس هَرِمَ ، وهو يريد أن يستريح من قيامه ويسقط إلى الأرض انقضاضاً كأنقضاض الطائر راکعاً أو ساجداً أو مستلقياً ، فأعطاه صفة الإرادة وصفة انقضاض الطائر " ٢٨ .

وفي مباحث علم البديع سنجد في بنية التركيب اللغوي أثر النحو الذي يجعل كلمة التسجيع أو الفاصلة القرآنية في نهاية الجملة أو الآية أو في القافية .. لإحداث الأثر الإيقاعي والدلالي ، فالتركيب ظاهره وباطنه محكوم بقواعد النحو في النثر أو الشعر حيث إن " الصورة الصوتية المنطوقة تحكمها في العمق أبنية أخرى صرفية ونحوية ووزنية معينة في الشعر " ٢٩ .

والتركيب الظاهر الذي يحدث فيه الجنس بأنواعه أو التكرار أو غير ذلك من صور البيان محكوم كذلك بالخبرة النحوية والإبداعية التي تحقق ذلك وفق أصول تركيب الألفاظ العربية التي يأتي في مقدمتها النحو .

من هنا تأتي هذه الدراسة التي نختار لها بعض المصطلحات البلاغية من المعجم المشار إليه ، لندرسها وفق هذا المنظور الذي قدمناه ، وسنذكر المصطلح وتعريفه موجزاً ثم ننظر في أصوله النحوية وتطبيقاته عند البلاغيين .

\*\*\*

٢٨ - عبد الرحمن الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها / ١ / ٧٣ ، نسخة إلكترونية ضمن برنامج المكتبة الشاملة .

٢٩ - د/ محمد حماسة عند اللطيف : الجملة في الشعر العربي : ١٢١ ، ط ١ مكتبة الخانجي ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .